ISSN : 2232-0474 | E-ISSN : 2232-0482
www.gjat.my

موقف الإمام مالك بن أنس من الفرق المنحرفة

(Position of Imam Malik bin Anas on Deviant Sects)

Allaa Eddin Muhammad Esmail (Corresponding Author)
Kolej Universiti Islam Sultan Azlan Shah, Bukit Chandan,
33000, Bandar Diraja Kuala Kangsar, Perak, Malaysia
Tel: +60182332706 E-mail: allaaaesmail@gmail.com

Jamil Hashim
Kolej Universiti Islam Sultan Azlan Shah, Bukit Chandan,
33000, Bandar Diraja Kuala Kangsar, Perak, Malaysia
Tel: +60196990177 E-mail: jamilhashim@kuisas.edu.my

Masitoh Ahmad
Department of Usuluddin and Comparative Religion
Kulliyyah of IRKHS, International Islamic University Malaysia,
Jalan Gombak, 53100, Kuala Lumpur, Malaysia
Tel:+60123337008 E-mail: a.masitoh@iium.edu.my

ملخص البحث

يحاول الباحث من خلال هذا البحث أن يسلط الضوء على موقف الإمام مالك من الفرق التي كانت منتشرة في عصره من خلال عرض الباحث لموقف الإمام من أهم الفرق المنتشرة في ذلك العصر وأهمها الشيعة بجميع طوائفهم والقدرية الذين أفرد لهم الإمام مالك كتاباً في الرد عليهم وأفرد لهم باباً في موطئه وكذلك موقف الإمام مالك من الخوارج والمرجئة من خلال عرض أهم المسائل التي اختصت بها تلك الفرق وعرض الباحث موقف الإمام مالك من الخوض في المتشابهات ويعرض الباحث في المبحث الثاني طرق تعامل الإمام مالك مع هذه الفرق.

الكلمات المفتاحية: مالك بن أنس، الفرق المنحرفة،أهل السنة والجماعة، الإسلام

Abstract

The study attempts to highlight the position of Imam Malik bin Anas on deviant sects which emerged and developed during his time. It discusses the views of Imam Malik on other Muslim sects like Shi'its and its school of thoughts, Qadarites, where he authored a specific book and a chapter in his *"Muwatta"* in response to their central teachings, Khariji, Murji"it and Mu'tazilites. This paper also discusses the views of Imam Malik and his response to important issues related to those sects such as "al-mutasyabihat" and the creation of Al-Quran. Imam Malik's ways and methods in dealing with those sects are also highlighted.

Keywords: Imam Malik bin Anas; Deviant Sects; Sunnite; Islam.

المقدمة:

منذ ظهور الرسالة الإسلامية في الجزيرة العربية وأهل الكفر والنفاق يحاولون تشويه الدين الإسلامي وتقويض أركانه، واشتدت هذه الهجمة على الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وذهاب عصر الصحابة، فبدأت الفرق التي تدعي الإسلام وفي حقيقتها شر كبير وخطر مستطير على الأمة المسلمة،بدأت بتشويه الدين وحرب المسلمين، وحاولوا عبثاً الطعن في كثير من

ISSN : 2232-0474 | E-ISSN : 2232-0482
www.gjat.my

فكان رحمه الله يبغض المتكلمين وعلم الكلام الذي لا ينفع، بل كان يرى أنه لو كان علماً لعلمه الصحابة والتابعون من بعدهم، وكان إذا سأله الرجل عن شيء من أهل الأهواء يقول له اقرأ: (لم يكن) فيقرأ إلى قوله تعالى: (وذلك دين القيمة) (Al-Quran, 98: 1-5) فيضرب بيده على منكب الرجل ويقول مأمر الناس بهذا(Al-Zawawi, 1904).

ويرى الإمام مالك أن أسوأ السيئات التي يمكن أن يفعلها الإنسان هي أن يتلبس بقول لأهل الأهواء وذلك لأنه يرى أن أهل الأهواء أغلبهم يجب أن يستتابوا وإلا قتلوا إما حداً أو كفراً مع تفاوت بينهم في البدع، ولذلك كان أحب إليه أن يفعل الإنسان الكبائر دون التلبس بالبدع من أن يقول قولاًبدعياً ويصلي ويصوم ويفعل الخيرات .('Iyad, n.d.)

وخلاصة القول: أن مالكاً لم يكن يحب الجدل في الدين، وكان يبغض أهل الأهواء والبدع، و يرى أنهم أشد الناس خطراً على الأمة الإسلامية لما يشيعونه من كلام خالفوا فيه الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف الصالح وترك ما ابتدعوه في الدين واجب على المسلمين وأسلم لهم.

موقف الإمام مالك من الروافض

عد الإمام مالك الروافض من الفرق المنحرفة عن الإسلام والخارجة عن منهاج أهل السنة والجماعة، ووصفهم بأن»هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء، ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابه صالحين»(Ibn Taimiyyah, 1986).

وهذا فهم عميق من إمام دار الهجرة في مقصد الرافضة وغيرهم من القدح في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وز وجاته الطاهرات فالرافضة وغيرهم من أهل البدع أرادوا طعن النبي والرسالة من خلال طعنهم بمن مسلمات العقيدة مستعينين بأحاديث مكذوبة عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو بتأويل فاسد لما صح من الأثر، أو بدعوى ضلال من رباهم النبي صلى الله عليه وسلم وصحبوه وشهد لهم بالخيرية، لعلمهم أنهم إذا طعنوا في عدالة الصحابة وأئمة الأمة يسهل عليهم تكذيب ما نقلوه من فقه وحديث حتى يصلوا للطعن في الرسالة نفسها.

وانبرى لهؤلاء المرجفون أئمة الأمة وجهابذتها، وأظهروا فساد رأي المبتدعة وخبث مقصدهم بالدليل والحجة المقنعة، فحموا بيضة الإسلام ونفوا عن الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وكان الإمام مالك بن أنس ممن وقف ضد أصحاب تلك الفرق الضالة، وهو إمام دار الهجرة، والنجم في سماء علم الحديث، وصاحب الفتوى في عصره، والعابد التقي الورع فسخر علمه للدفاع عن الدين، وإظهار باطل المبطلين وكان له – رحمه الله– منهجاً فريداً في التعامل مع أهل الأهواء والبدع فلقي القبول عند أهل السنة والجماعة، وأدعى كل فريق الانتساب لمدرسته ومنهجه في العقيدة وما ذلك إلا لسلامة رأيه، ودقته في تحري الحق، ووقوفه على النصوص الشرعية دون تأويل أو تحريف أو تشبيه أو تمثيل فكان بحق الممثل لمنهج أهل السنة والجماعة.

موقف الإمام مالك من المبتدعة

إن الإمام مالك نشأ في وقت وبيئة انتشر فيها الإسلام، ودخل في الإسلام أتباع أديان وفلسفات متعددة، و لم يكن كل من دخل في الإسلام محباً للدين وأهله، بل دخل بعضهم مصلحةً ودخل البعض الآخر لمحاولة تشويه الدين وهدم أركانه كما فعل بولس مع المسيحية.

وكان مالك على علم ودراية بمقولة أهل الأهواء والرد عليها وقد تعلم هذا العلم من شيخه ابن هرمز الذي كان من أعلم الناس بالرد على أهل الأهواء والبدع كما ذكر مالك نفسه ('Iyad, n.d.) . وكان يقول : (جالست ابن هرمز ثلاث عشرة سنة في علم لم أبثه لأحد من الناس) (Ibn Farhun, n.d)ولعل ذلك العلم هو الرد على أهل الأهواء والبدع.

ISSN : 2232-0474 | E-ISSN : 2232-0482
www.gjat.my

وقطع الإمام مالك بكفر الروافض في بعض مقالاته وذكر أنهم أسوأ أهل الكفر فقال فيما نقله عنه القاضي عياضقائلا : أهل الأهواء كلهم كفار، وأسوأهم الروافض. قيل: النواصب؟ قال: هم الروافض، رفضوا الحق ونصبوا له العداوة والبغضاء)

.(Ibn Abd al-Bir, n.d.)

وعلى ذلك لا يقبل خلاف الروافض للأمة في المسائل الفقهية والعقدية، فلايعتبر قولهم ولا يلتفت لخلافهم، وعلى هذا سار المالكية وغيرهم من المسلمين ولا يلتفت إلى الفتاوى الشاذة التي تظهر بين حين وآخر وتدعي جواز التعبد بمذهب الروافض الذي ينسب زوراً إلى مذهب الإمام جعفر الصادق، ولا يخفى على المطلع أن هذه الفتاوى لا تعدو عن كونها سياسية أو كيدية من بعض المشتغلين بالعلم والواقفين على أبواب السلطان فنسأل الله السلامة في الدين.

و مثال ذلك ما ذكره ابن عبد البر في الاستذكار:قال أبو عمر: فعلى هذين القولين جماعة علماء السلف إلا الروافض، وهم لا يعدون خلافًا؛ لشذوذهم فيما ذهبوا إليه في هذا الباب عن سبيل المؤمنين ولا حجة لهم في قول الله تعالى: ((وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ)) (Al-Quran: 27:16)وقوله: ((يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ)) (Al-Quran,19:6) لأن سليمان إنما ورث من داود النبوة والعلم والحكمة..(Ibn Abd al-Bir, n.d).

وقال القرطبي :''...وأما الروافض فليس قولهم مما يشتغل به ولا يحكى مثله، لما فيه من الطعن على السلف والمخالفة لسبيل المؤمنين''(Al-Qurtubi, n.d.).

وقال رحمه الله:''قيل لأبي عبدالله: فإن قال رجل: أنا أذهب إلى حديث أبي أيوب (حُبب إليّ الغسل) قال: نحن لا نذهب إلى قول أبي أيوب، ولكن لو ذهب إليه ذاهب صلينا خلفه، قال: إلا أن يترك رجل المسح من أهل البدع من الرافضة الذين لا يمسحون وما أشبهه، فهذا لا نصلي خلفه...''(al-Qurtubi, n.d.)

أوصل إلينا هذه الرسالة، وإلى هذا المعنى ذهب الإمام أبو زرعة الرازي بقوله: ''اذا رأيت أحداً يشتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأعلم أنه زنديق''و''الذي يشتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ليس له سهم -أو قال: نصيب- في الإسلام''.

وقد استدل الإمام مالك على كفر غلاة الرافضة بالقرآن الكريم، وذكر القاضي عياض أن هارون الرشيد دخل المسجد، فركع ثم أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أتى مجلس مالك فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال مالك: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثم قال لمالك: هل لمن سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في الفيء حق؟ قال: لا ولا كرامة، قال: من أين قلت ذلك؟ قال: قال الله: (لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكفَّارَ)(Al-Quran, 48:29),، فمن عايهم فهو كافر، ولا حق للكافر في الفيء، واحتج مرة أخرى بقوله تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ) (Al-Quran, 59:8), قال: فهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا معه وأنصاره، (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (Al-Quran,59:10)، فما عدا هؤلاء فلا حق لهم فيه»('Iyad, n.d.).

قال ابن كثير إن من هذه الآية: ((لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكفَّارَ))(Al-Quran 48:29)،انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك»(Ibn Kathir, n.d.).وقال القرطبي: «لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله، فمن نقص واحدًا منهم أو طعن عليه في روايته، فقد ردّ على الله ربّ العالمين وأبطل شرائع المسلمين»(Al-Qurtubi, n.d.) وبناءً على ذلك لم يقبل الإمام مالك شهادة الروافض. ('Iyad, n.d.).

ISSN : 2232-0474 | E-ISSN : 2232-0482
www.gjat.my

رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله ربه الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله ربه النار)
.(Malik, n.d.)

3- وحدثني يحيى عن مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس اليماني أنه قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر قال طاوس وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز)
.(Malik, n.d.)

وذكر مالك عدد من الأحاديث التي تؤيد ما ذهب اليه من وجوب الإيمان بالقدر ولعل اهتمام مالك بالرد على القدرية وإظهار فساد رأيهم لأن الحجاز انتشر فيها القول بالقدر على نحو دعا الإمام مالك للرد عليهم تارةً بتصنيف مستقل وتارةً بتخصيص كتاب في الموطأ والمطلع على مقالات الإمام مالك يعلم أنه رحمه الله كان على دراية واضحة بمذهبهم.
كان الإمام مالك يرى أن يستتاب القدرية وإلا قتلوا واقتدى برأي سيدنا عمر بن عبد العزيز بالقدرية.
(Ibn Abi ‘Asim, 1979)(Malik, n.d.)،بل عد الإمام مالك الذين يقولون بالقدر من المشركين الذين لا يجوز تزويجهم ولا تجوز شهادتهم ولا يصلى عليهم ولا يقبل حديثهم.(Ibn Abd al-Bir, n.d.)(‘Iyad, n.d.))

ومع أن الإمام مالك كره جدال أهل الأهواء والبدع إلا أنه رضي الله عنه عندما سئل عن مجادلة القدرية أمر من يعرف مقالتهم ويقدر أن يرد عليهم بالحجة والبرهان أن يقيم الحجة عليهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر. وفي بعض الأحيان كان يأمر بالكف عن مجادلتهم.(‘Iyad, n.d.)
ولعل الإمام مالكاً رغم معرفته بخطورتهم إلا أنه يرجو

موقف الإمام مالك من القدرية

كان الامام مالكاً مقلاً في الحديث عن أهل الأهواء والبدع كما في منهجه الذي اتبعه في التعامل مع أهل الفرق المنحرفة لكن نجد الإمام مالك أكثر من الكلام عن القدرية والتحذير منهم والتبري من قولهم.بل ألف الإمام مالك رسالةً في الرد على القدرية (Ibn Farhun, n.d.) وكذلك خصص باباً في كتابه ’’الموطأ‘‘ ذكر فيه الأحاديث التي تخالف قول القدريين، وأن الإيمان بالقدر هي من أركان الإيمان لدى المسلمين ومن هذه الأحاديث:

1-أَخْبَرَنَا أَبُو قُرَيْشٍ مُحَمَّدُ بْنُ جُمْعَةَ بْنِ خَلَفٍ الْحَافِظُ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ نَضْلَةَ ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ يَعْنِي ابْنَ أَنَسٍ ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنِ الأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَى ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى : أَنْتَ الَّذِي أَغْوَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ : أَنْتَ مُوسَى الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ وَاصْطَفَاهُ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ «.(Malik, n.d.)

2- وحدثني يحيى عن مالك عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل قال فقال

ISSN : 2232-0474 | E-ISSN : 2232-0482
www.gjat.my

هذا وقد كثر في زماننا من يخوض في أسماء الله وصفاته وينسب ذلك لأئمة الأمة وقد رأيت خلال بحثي أكثر من مائة عنوان يتحدث عن الأسماء والصفات والعدد أكثر من ذلك بكثير ولكن اسأل الباحثين ألم يكن حرياً بنا أن نصرف هذا الوقت والجهد على مواضيع أخرى ونقف على ما وقف عنده الصحابة والتابعون ونؤمن بما ورد دون تشبيه او تعطيل أو تمثل او تكييف ونمر هذه الآيات كما فعل سلفنا الصالح فقد كانوا أكثر فهما منا للغة العربية ومع ذلك لم يحاولوا أن يفسروا هذه الآيات أو أن يخوضوا بها أو أن يضيفوا إليها عبارات مفسرة بل تركوها دون التعرض لها والخوض بمعناها.

موقف الإمام مالك من المعتزلة

لم يكن للمعتزلة في عصر الإمام مالك صولة وإنما زاد شرهم بعد وفاة الإمام مالك لكن خالف مالك المعتزلة في أشهر المسائل التي خالفوا فيها المسلمين وأهمها

1- مسألة القول بخلق القرآن:

لم يشتهر عن المعتزلة مسألة كقولهم بخلق القرآن فقد امتحن في تلك المسألة خلق كثير من المسلمين، وقتل وعذب بسببها الكثير، وأشهر من ثبت بتلك المحنة إمام أهل السنة أبو عبد الله أحمد بن حنبل فقد كان المعتزلة يقولون إن القرآن مخلوق، وشدد الإمام مالك النكير على من يقول بهذا القول وعده زنديقاً حده القتل (Ibn Abd al-Bir, n.d.) (‘Iyad, n.d.).

لكن من الواضح أن القول بخلق القرآن لم ينتشر إلا بعد وفاة الإمام مالك فمالك لم يسمع تلك المقالة الغريبة إلا من الرجل السائل.

أن يهديهم الله إلى الصواب ويعودوا الى الحق.

موقف الإمام مالك من الخوض في المتشابهات

كان للإمام مالك منهجاً في الخوض في الأسماء والصفات والتشابهات تبع فيه منهج الصحابة رضوان الله عليهم في الخوض في المتشابهات وكان مالك يرى أن الواجب على المسلم أن يؤمن إيماناً جازماً بما ورد في القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة من المتشابهات وإمرارها دون أن يحاول تأويلها وتكييفها وهو مذهب الأئمة كالسفيانان والليث والأوزاعي واسحاق والشافعي وغيرهم من العلماء فعن وليد بن مسلم قال: سألت مالكاً، والثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد عن الأخبار في الصفات؛ فقالوا أمِرّوها كما جاءت) (al-Baihaqi, 1980)

عن جعفر بن عبد الله قال: كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله، {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (al-Quran, 20:5) كيف استوى؟ فما وجد – مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض، وجعل ينكت بعودٍ في يده علاه الرحضاء – يعني العرق – ثم رفع رأسه ورمى بالعود، وقال: الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة وأمر به فأخرج (‘Iyad, n.d.) .

من الواضح هنا أن مذهب الإمام مالك في المتشابهات هو عدم الخوض فيها بل اعتبار من يتكلم في الآيات التي يوهم ظاهرها التشبيه من البدع والضلالة،بل وشدد الإمام مالك وغيره على من يحاول إثارة مسائل المتشابهات والخوض في الأسماء والصفات دون السكوت عما سكت عنه السادات و كان مالك يعرف أهل البدع فيقول: (أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان) (al-Zawawi, 1904).

ISSN : 2232-0474 | E-ISSN : 2232-0482
www.gjat.my

موقف الإمام مالك من المرجئة

وقف الإمام مالك موقفاً حاماً من المرجئة وعدهم من الفرق الخارجة عن منهاج أهل السنة والجماعة. وكان يقول:» إن المرجئة أخطأوا وقالوا قولاً عظيماً، قالوا: إن أخرق الكعبة أو صنع كل شيء فهو مسلم، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين) (Ibn Farhun, n.d.) (al-Quran, 9 :11).

موقف الإمام مالك من الخوارجاخفت حدة الخوارج في عصر الإمام مالك لكن آثار مسائلهم العقدية بقيت تتداول بين العلماء وأهم هذه المسائل

1– حكم مرتكب الكبيرة

فقد اختلف أهل السنة والجماعة مع المعتزلة والخوارج والمرجئة في حكم مرتكب الكبيرة وأول من أثار هذه القضية هم الخوارج الذين أعلنوا أن مرتكب الكبيرة في النار وجاء المرجئة ليتطرفوا في الحكم أيضاً ويقولوا إن مرتكب الكبيرة مؤمن يدخل النار فلا يضر مع الإيمان معصية ثم حاول المعتزلة أن يتوسطوا في الأمر فقالوا: إنه بمنزلة بين المنزلتين

وقد وقف الإمام مالك ضد هذه الآراء جميعها مؤيداً لمذهب أهل السنة والجماعةفي أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر كما ادعى الخوارج وأنه مؤمن عاصي أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفى عنه وقال ابن أبي حنيفة لمالك: إن لنا رأياً نعرضه عليك فإن رأيته حسناً مضينا عليه وإن رأيته سيئاً تنكبنا عنه. لا نكفر أحداً بذنب, المذنبون كلهم مسلمون قال ما أرى بهذا بأساً (Ibn Farhun, n.d)

2- مسألة رؤية الله عز وجل في الآخرة:

خالف المعتزلة أهل السنة والجماعة وقالوا أن المسلم لا يرى ربه يوم القيامة وأولوا قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ {22} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} أي منتظرة ثواب الله عز وجل وخالفهم أهل السنة والجماعة ونصوا على أننا نرى ربنا يوم القيامة بقدرة الله عز وجل بكيفية يعلمها الله وكان جواب مالك في ذلك موافقاً لما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من القول برؤية الله عز وجل في الآخرة

فعن ابن نافع، وأشهب، وأحدهما قال: يزيد على الآخر: يا أبا عبد الله: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ {22} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (al-Quran, 75:22-23)، ينظرون إلى الله؟ قال: نعم بأعينهم هاتين؛ فقلت له: فإن قوماً يقولون: لا ينظر إلى الله، إنَّ {نَاظِرَةٌ} بمعنى منتظرة الثواب. قال: كذبوا بل ينظر إلى الله أما سمعت قول موسى عليه السلام: {رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ} (al-Quran, 8: 143) أفترى موسى سأل ربه محالاً؟ فقال الله: {لَن تَرَانِي} (al-Quran, 8: 143) أي في الدنيا لأنها دار فناء ولا ينظر ما يبقى بما يفنى فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما يبقى إلى ما يبقى وقال الله: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ}.

(al-Quran, 83: 15).

قال ابن عبد البر: سئل مالك أيُرى الله يوم القيامة؟ فقال: نعم يقول الله عزَّ وجلَّ: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ {22} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}

(al-Quran, 75: 22-23) وقال لقوم آخرين: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ}

(al-Quran, 83: 15).

ISSN : 2232-0474 | E-ISSN : 2232-0482
www.gjat.my

هو معرفة الدين الصحيح، والتمسك بالشرع الواضح، والأخذ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فمن تمسك بالقرآن، وتحصن بالسنة، واستن بسنة الخلفاء المهديين والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عصم نفسه من الفتن، ووقى دينه من الشبه والخصومات، فكان مالك إذا ذكر عنده أهل الاهواء يقول: (قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بده سناً الأخذ بها اتباع لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد بعد هؤلاء تبديلها ولا النظر في شيء خالفها ومن اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً)

وجاء رجل من أهل المغرب إلى مالك يقول له: إن الأهواء كثرت ببلادنا فجعلت نفسي إن أنا رأيتك أن آخذ بما تأمرني به فوصف له مالك شرائع الاسلام والصلاة والصوم والزكاة والحج ثم قال خذ بهذا ولا تخاصم أحداً.

2- ترك مجادلتهم

حذر الإمام مالك من مخالطة أهل الاهواء والبدع ومجادلتهم وكان هذا المنهج على العموم هو منهج السلف الصالح من أهل السنة والجماعة فلم يكونوا يحاورون أي مبتدع أظهر بدعته وذكر الشافعي أنه إذا أتاه بعض أهل الأهواء يقول: أما أنا فعلى بينة من ديني وأما أنت فشاك فاذهب إلى شاك مثلك فخاصمه ثم قرأ: } قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني (al-Quran, 12:108){ (Ibn Farhun, n.d.)

ويرى الإمام مالك أنه إذا انتشر الجدل بين المسلمين وأصبحت الخصومة في العقيدة غرضاً للمناقشة، ويأتي من الناس من أوتي جدلاً وقدرة على الكلام يفتن كثيراً ممن لا حظ له في العلم، نصل في نهاية المطاف إلى إنكار مسلمات الدين

2- الخروج على الحاكم

هذه المسألة هي أشهر مسائل الخوارج فيرى هؤلاء سقوط بيعة الحاكم إذا رأوا منه ما يخالف الشرع – بزعمهم- والامام مالك وإن كان يؤيد الخروج على الحاكم إذا كان ظالما والخارج عليه من أهل الصلاح لكنه لا يخرج مع من خرج كما أفتى بالخروج- إن صحت الرواية- مع محمد النفس الذكية ولكنه لم يخرج(al-Tabari, 1997)

و لم يجوز الإمام مالك قتال من خرجوا عن ظلم السلطان إلا إذا كان السلطان عادلاً وهم شقوا عصى الطاعة أما إذا خرجوا متظلمين فلا يحل للسلطان قتالهم استفتاه الرشيد عن حكم قتال من خرجوا على السلطان، فأجابه مالك: إن كان خروجهم عن ظلم من السلطان فلا يحل قتالهم، وإن كانوا إنما شقوا عصى الطاعة فقتالهم حلال(Al-'Asqalani, n.d.)

وسئل مالك عن الحاكم إذا قام من يريد إزالة ملكه هل يجب الدفاع عنه فقال: ''أما مثل عمر بن عبد العزيز فنعم وأما غيره فدعه وما يريد فينتقم الله من ظالم بظالم ثم ينتقم الله منهما جميعاً''.

فمالك يحرم الدفاع عن الإمام الظالم ضد من يريد أن يزيل ملكه فقد وضع مثالاً للحاكم الذي تجب معونته على الخارجين عليه وهو عمر بن عبد العزيز مع معرفته أنه قل أن يوجد مثله

وخلاصة القول، أن الإمام مالك يرى الخروج على الحاكم الظالم إذا كان الخارج متظلماً وتقياً ولا يرى إعانةالحاكم الظالم على من خرج عليهأما رأيه في الخوارج فالإمام مالك يعد الخوارج من الفرق المارقة ولكن ورد عنه في تكفيرهم قولان أولهما التكفير والآخر التوقف.(Ibn Taimiyyah, n.d)

منهج الإمام مالك في التعامل مع المبتدعة

1-التمسك بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة:

يرى الإمام مالك أن أفضل السبل لمواجهة المبتدعة

ISSN : 2232-0474 | E-ISSN : 2232-0482
www.gjat.my

3- محاورتهم لمن ملك القدرة على ذلك

بالرغم من أن الإمام مالك دعا إلى هجران أهل الأهواء والبدع وترك مجادلتهم إلا أنه صنف في الرد على القدرية كما ذكرنا وكانت له أقوال في الرد على الرافضة والمرجئة والخوارج وغيرهم فكان نهيه عن الخوض في جدالهم لمن لم يكن عارفاً لمقالاتهم أو إيثاراًلسلامة الدين وامتثالاً لأمر الله عز وجل لنبيه في الإعراض عن الجاهلين

أما من احتاج أن يرد على أهل الأهواء وهو عارف لمقالاتهم متمكن من دينه فلا بأس بذلك فقد كتب إليه تلميذه ابن فروخ يستشيرهفي أن بلاده انتشرت فيها البدع وأنه يريد أن يكتب كتاباً في الرد عليهم فكتب إليه مالك يقول له: (إن ظننت ذلك بنفسك خفت أن تزل وتهلك لا ترد عليهم إلا من كان عارفاً ضابطاً بما يقول لهم لا يقدرون أن يعرجوا عليه فهذا لا بأس به، وأما غير ذلك فإنني أخاف أن تكلمهم فتخطئ فيمضون على خطئك، أو يظفروا منه بشيء فيطغوا ويزدادوا تمادياً في ذلك)(. وعندما سئل مالك عن القدريين أيكف عن كلامهم؟ قال: نعم إذا كان عارفاً بما هو عليه ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويخبرهم بخلافهم(.'Iyad, n.d)

الخاتمة:

بعد هذه الجولة في فكر إمام دار الهجرة وموقفه من الفرق التي كان في عصره توصلت الدراسة إلىأنالإمام مالك بحق هو ممثل لمنهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الفرق الضالة وفي فهم العقيدة الإسلامية الصافية التي نجت من لوثة علم الكلام البدعي والمنطق اليوناني، و موقفه من المبتدعة كان واضحاً في عدم مجالستهم وفي بعض الأحيان طردهم من أي اجتماع للمسلمين فضلاً عن محاولة إيجاد تقارب بين أهل السنة وبينهم وكان يقول: (أو كلما جاء رجل أجدل من رجل يريد أن يرد ماجاء به جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم)(al-Zawawi, 1904)

وهناك ملحظ خطير يجب أن يتنبه له من يرد على أهل الأهواء والبدع فكثير من هؤلاء يظهروا بدعتهم بين المسلمين لسنوات ولا يلتفت إليها أحد أو يكتبون كتاباً يحاربون فيه الدين ولا يجد الكتاب طريقه للشهرة فما يكون من هذا المبتدع إلا ان يعطيه لبعض المتحمسين من أهل الغيرة على الدين فيرى ما فيه من تجاوزات ويحاول الرد على أفكار المبتدع فيشتهر أمره بين الناس ويعلم به من لم يكن يعلم و يصبح للفكرة اتباع ومؤيدين في حين أنه لو ترك الكتاب أو الفكرة دون أن يخاض بها لنسيت وماتت بعد فترة من الزمن فكثير من الكتب والأفكار المنحرفة ماتت بموت أصحابها و لم تجد لها مؤيداً لعدم انتشارها بين الناس.

فكتاب سلمان رشدي طبع منذ سنوات و لم يلتفت اليه أحد ولكن بعد أن أثار بعض المتحمسين قضية الكتاب صار الرجل معروفاً بعد أن كان نكرة وكتب كثير من الكتاب ردوداً عليه مع أن الكتاب لا يسوى ثمن المداد الذي كتب به.

وقصد مالك من ترك الخوض مع أهل الأهواء عدة أمور أهمها:

أولاً: أن يموت الباطل بقلة من يتكلم به فكثير من الأفكار دفنت لما قل المناقشون بها والداعون لها والمصغون سمعاً لمحتواها.

ثانياً: أن لا يضيع وقت علماء الأمة بالردود على المبتدعة فكل يوم يأتي مبتدع بفكرة جديدة أو قديمة نبشت من مهدها ولو أردنا أن نفند كل قول ورأي لضاع الزمان بلا فائدة ترجى للمسلمين فكثير من العلماء لاموا أنفسهم لاشتغالهم بالرد على المبتدعة وترك التصنيف في كتاب الله عز وجل .

ثالثاً: أن لا يلتبس الأمر على عوام الناس فيؤمنوا بالفكرة ويصعب بعد ذلك إقناعهم بغيرها فالعالم يقنع بالدليل والبرهان أما العوام فيقنعهم الكلام العاطفي والمسبوك ويقنعهم صاحب الجدل ولا ينظرون في كثير من الأحيان للدليل.

ISSN : 2232-0474 | E-ISSN : 2232-0482
www.gjat.my

أو نقاط مشتركة.إن الإمام مالك –كبقية أئمة السلف الصالح –لم يكنيخوض في المتشابهات من الآيات و لم يحاول تفسير المشكل من القرآن الكريم أو الحديث الشريف بل كان منهجه الإيمان بما ورد من الآيات وصحيح السنة وإمرارها بلا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تأويل فكان منهجه بحق الأسلم لزمانه وزماننا.أما المنهج في محاربة البدع وأصحاب الأفكار الهدامة—كما يراه الإمام مالك– فيكون بالعلم الصحيح والتمسك بالقرآن والسنة وأقوال العلماء العاملين من أهل السنة والجماعة والتحصن بالفهم الصحيح للإسلام لا بتعلم فلسفة الغرب وقواعدهم ومحاولة تفسير الإسلام بأسسهم وفهمهم.

References

The Holy Quran

Ibn Abi ‘Asim (1979). Al-Sunnah, ed. Nasir al-Din al-Albani, al-Maktab al-Islami, Beirut.

Al-‘Asqalani, I.H. (1958). Fath al-Bari Syarh Sahih al-Bukhari, ed. Muhammad Fuad Abd al-Baqi, Dar al-Ma’rifah, Beirut.

Al-Baihaqi (1980). al-I’tiqad wa al-Hidayah ila Sabil al-Rasyad, ed. Ahmad al-Khatib. Dar al-Afaq al-Jadidah.

Al-Tabari, A. J. M. B. J. (1997). Tafsir al-Tabari : al-Musammá Jami’ al-bayan fi ta’wil al-Qur’an. Dar al-Kutub al-’Ilmiyah, Beirut.

Al-Qurtubi (n.d.). al-Jami’ li Ahkam al-Quran, Dar al-Rayyan, Riyadh.

Al-Zawawi (2004). Manaqib al-Imam Malik, al-Matba’at al-khairiyyah, al-Qaherah.

Ibn Abd al-Bir (n.d.). al-Intiqa’ fi Fadhail la-thalathat al-Fuqaha’, Dar al-Kutub al-Ilmi-yyah, Beirut.

Ibn Farhun, I.B.A.A. (n.d.). al-Dibaj al-Mazhab fi Ma’rifat A’yan Ulama’ al-Mazhab. Dar al-Turath li al-Tab’i wa al-Nashr, al-Qa-herah.

Ibn Kathir (n.d).Tafsir al-Quran al-Karim, Dar al-Qalam, Beirut.

Ibn Taimiyyah (1996). Al-Sarim al-Maslul ‘ala Syatim al-Rasul, ed. Muhammad Abdul-lah al-Helwani, Dar ibn Hazm, Beirut.

‘Iyad, A.A.B.M.A. (n.d.). Tartib al-Madarik wa Taqrib al-Masalik, Matba’at al-Fadhalah, Al-Maghrib.

Malik, A. (n.d.). al-Muwatta’, ed. Muhammad Fuad Abd al-Baqi, Kitab al-Sha’b.